محاضرات مقياس: تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية

دكتورة: ومان حورية
جامعة: محمد خيضر –بسكرة-
الايميل: houria.ouamane@univ-biskra.dz

مقـــــدمـــــة

يعتبر بيان أول نوفمبر أهم وثائق الثورة التحريرية، ومطلع أدبيات الحركة الوطنية بمختلف أطوارها ولعل أحسن دليل على هذا هو أن البيان لا يزال يثير النقاشات الأكاديمية والسياسية والإيديولوجية وحتى الفلسفية.

وأهم ما جاء في نص البيان انه فصل في المرجعية العقائدية، والفكرية للثورة الجزائرية، وأسس قيام الدولة الجزائرية الوطنية بعد الاستقلال. وفي جانب أخر فإن تأكيد دور العقيدة الإسلامية، و محوريتها في دفع عجلة الثورة يبدو أكثر فاعلية وتأثيرا على الشعب الجزائري، وهذا ما انتبه إليه أحد الكتاب حين قال:"... دور العقيدة الإسلامية في التطور السياسي والاجتماعي...ومن الناحية التاريخية فإن الإسلام يكون القاعدة الثقافية والاجتماعية للجماهير الشعبية التي ترمز لكل نجاح في الحركة الثورية في الجزائر..."

دراسة تحليلية لبيان أول نوفمبر1954

ينتمي النص إلى حقبة مهمة من تاريخ ونضال الشعب الجزائري، والذي مثل منعرجا هاما ومرحلة انتقالية كانت بدايتها بتفجير ثورة أول نوفمبر، والإعلان عن بدأ الكفاح من أجل الاستقلال. واسترجاع السيادة الوطنية.

يعد هذا النص في مجمله وثيقة تاريخية. كتب على شكل نداء فهو ذو طابع **"تاريخي"**، **"سياسي"**، **"إيديولوجي"**، **"ثوري"**، و**"شعبي"**. ويرجع تعدد الطبوع في هذا النص كونه موجه لجميع الطبقات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

تاريخي لأنه تطرق إلى أهم حدث تناول من خلاله محرري البيان الى أهم الحقائق التاريخية التي تزامنت مع صدور البيان.

- **سياسي** لأنه صدر عن تنظيم وهو **" جبهة التحرير الوطني"**. فهو موجه لجميع الأحزاب والهيئات الوطنية والدولية، بالإضافة لما يحمله من مصطلحات سياسية مثال على ذلك **"الامبريالية"** و **"الحركة الوطنية"** و**"الانفراج الدولي"، "سندها الدبلوماسي"، "التطهير السياسي" ،"تدويل القضية"،" في إطار ميثاق الأمم المتحدة"**...الخ

"عقائدي، إيديولوجي" لأنه يحمل محتوى عقائدي مذهبي، وذلك من خلال أول هدف سطره البيان وهو **"إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية"**.

"ثوري" لأنه جاء بمصطلحات ثورية تحررية ودليلنا على ذلك ما جاء في في نصه: **"أن الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح"، "فإن هدف أي حركة ثورية في الواقع هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحررية..."، "إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد، فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحرري في شمال إفريقيا"**، وكذلك من خلال الوسائل التي سطرها البيان من أجل بدأ العمل حيث وضف بعض المصطلحات الثورية وهي كالأتي: **"انسجاما مع المبادئ الثورية واعتبارا للأوضاع الداخلية والخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا". شعبي** لأنه موجه لجميع المواطنين الجزائريين بمختلف شرائحهم الاجتماعية إلى الكبير والصغير للأنثى والذكر للمثقف والغير مثقف ويظهر من خلال أول عبارة بدئ بها البيان وهي: **"أيها الشعب الجزائري" و"...نعني الشعب بصفة عامة..."**.

- النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (1954-1962)، (الجزائر: نشر وتوزيع وزارة الإعلام والثقافة،1997)، ص ص7-10.

- **الفكرة العامة للبيان كانت دعوة الشعب الجزائري بكل فئاته الاجتماعية، والسياسية والثقافية، إلى التضامن والاتحاد والبدء في الكفاح المسلح. من أجل الاستقلال، واسترجاع السيادة الوطنية، وإقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ضمن إطار المبادئ الإسلامية.**

- وقد جاء في الفكرة الثانية من البيان هو توضيح الأهداف المنشودة من هذه الدعوة للكفاح المسلح، وكان الهدف الرئيسي الذي طرح في هذه الفكرة هو الاستقلال الوطني وإقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ضمن **المبادئ الإسلامية**. و لقد قسم البيان الأهداف إلى هدفين رئيسيين: الأول داخلي الثاني خارجي.
- كما وضح واضعو البيان في الفقرة الرابعة على رغبتهم الحقيقية في **السلم**، حيث وضعوا وثيقة مشرفة للمناقشة وذلك من خلال اعتراف الاستعمار الفرنسي بالجنسية الجزائرية وأن هناك **دولة جزائرية** عبر التاريخ، كما أنها مستعدة لفتح المفاوضات التي سيقوم بها ممثلي الشعب الجزائري في حالة قبول الشروط المسطرة في البيان، حيث جاء في البيان:" **وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم، وتحديدا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد اعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة...وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها."**

وقد جاء في الفكرة الثانية من البيان هو توضيح الأهداف المنشودة من هذه الدعوة للكفاح المسلح، وكان الهدف الرئيسي الذي طرح في هذه الفكرة هو الاستقلال الوطني وإقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ضمن **المبادئ الإسلامية**. و لقد قسم البيان الأهداف إلى هدفين رئيسيين: الأول داخلي الثاني خارجي.

كما وضح واضعو البيان في الفقرة الرابعة على رغبتهم الحقيقية في **السلم**، حيث وضعوا وثيقة مشرفة للمناقشة وذلك من خلال اعتراف الاستعمار الفرنسي بالجنسية الجزائرية وأن هناك **دولة جزائرية** عبر التاريخ، كما أنها مستعدة لفتح المفاوضات التي سيقوم بها ممثلي الشعب الجزائري في حالة قبول الشروط المسطرة في البيان، حيث جاء في البيان:" **وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم، وتحديدا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد اعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة...وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها."**

- أما الفكرة الأخيرة كانت عبارة عن خاتمة البيان، حيث طلب فيها محرري البيان الشعب الجزائري بمباركة هذه الوثيقة. والدعوة لهم بالانضمام لإنقاذ البلاد والعمل على استرجاع الحرية، ثم قدموا وعدا باسم جبهة التحرير الوطني على مواصلة الكفاح والتضحية بالنفس من أجل الاستقلال الوطني. حيث جاء في البيان: **" أيها الجزائري إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة...أما نحن العازمون على مواصلة الكفاح الواثقون من مشاعرك المناهضة للأ مبرياليين فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك."**

- لم يلجأ محررو البيان لاستعمال مصطلحات تعبر عن مفاهيم فلسفية مجردة بل اعتمدوا عبارات وألفاظ لغوية، ومصطلحات سياسية، وقانونية واضحة الدلالة ومعروفة المعنى وبذلك لغة البيان لم تتعدى مضمون وأدبيات الحركة الوطنية.
- عامر رخيلة، أبعاد ومفاهيم في بيان أول نوفمبر1954، مجلة المصادر، يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر،1954، عدد4،2001، ص60.

المناضل: في مصطلحات الثورة الجزائرية لا شئ أعلى من مرتبة المناضل إلا مكانة المجاهد، بحيث لا يصبح مجاهدا حتى يكون قبل ذلك مناضلا، فإن هذا اللقب يعتبر في قمة الشرف وذروة التكريم ولم يكن الحصول على هذا اللقب سهلا، ولاسيما في بدايات عمر الثورة(1954-1962) حيث كانت الثقة لا توضع في كل الناس، فكان الرجل قبل أن يعترف له بهذا الشرف يوضع تحت اختبار شديد، حتى تثبت كفاءته وجدارته بحمل هذا اللقب الوطني. ولكن سرعان ما فتح باب النضال على مصراعيه أمام جميع المواطنين الجزائريين العادين حيث هب الشعب كله للدفاع عن الوطن. إن المناضلين الجزائريين استطاعوا تشكيل خلايا حتى في السجون والمحتشدات على الرغم من الحراسة الشديدة التي كانت مضروبة عليهم.

الامبريالية: هي ظاهرة اقتصادية عسكرية تتجسد في إقدام الدول القوية في العصر الحديث-أي الرأسمالية الصناعية على التوسع وفرض سيطرتها على شعوب وأراضي أجنبية بدون رضي تلك الشعوب بهدف استغلالها وإخضاعها ونهب ثرواتها.

عبد المالك مرتاض، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية1954 -1962، (الجزائر: دار الكتاب العربي،2010)، ص166.

عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج1، (بيروت، دار الهدى،1979)، ص300.

- **ديمقراطية: Démo** يعني الشعب **Kratas** تعني الحكم أي حكم الشعب وهي كلمة يونانية الأصل، ويقصد بالديمقراطية النظام السياسي الذي يكون فيه الشعب نصيب في الحكم إقليم الدولة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.
- **-الدبلوماسية:** هي القواعد الخاصة التي تحكم علاقة الدول بعضها ببعض لانسجام هذه العلاقات وحفظ السلم بينها وتستعمل كلمة ديبلوماسية أيضا كمرادفة للتفاوض، أو فن التوفيق في المسائل السياسية، وكذلك تعمل لتدل على الجهاز الإداري للعلاقات الدولية وعلى الصفات الشخصية، التي تتميز بالقدرة على الإقناع والتي يتصف بها أولئك الذين يعملون في هذه العلاقات.

- **الدولة:** هي مجموعة بشرية تعيش جنبا إلى جنب في مجتمع واحد ولديها سلطة (حكومة) تعد القوانين وتنفذها، وتدير شؤون الأفراد والجماعات ومعترف بها سياسيا ولها سيادة.
- **-السيادة:** هي سلطان الدولة على الإقليم الذي تختص به بما يوجد فيه من أشخاص وأموال كما تواجه بهذا السلطان الدول الأخرى في الخارج. ويعتبر من الناحية النظرية كل دولة ذات سيادة مساوية لأية دولة أخرى.
- **-الرأي العام:** هو الشعور السائد بين جمهور معين في وقت معين إزاء موقف أو مشكلة من المشكلات ويتخذ الرأي العام. الذي يتأثر بما يحدث فيه من تفاعلات وهو كذلك تعبير مجموعة من الناس عن اتجاهاتها وأرائها إزاء مشكلة معينة تعبيرا صريحا حيث تتوافر الحرية ولا يخشى الناس أن يعبروا عن رأيهم.
- يحي محمد نبهان، معجم مصطلحات التاريخ، الأردن: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع،2005، ص 142 وما بعدها.

- **-التطهير السياسي:** هو مجمل الإجراءات والمواقف التي يتخذها نظام سياسي جديد قام على إثر ثورة أو انقلاب أو تغير ضمن معادلة الحكم نفسها، ضد رجال النظام السابق، أو ضد فئات يعتبرها معادية أو خطيرة عليه، فيجردهم السلطة، أو من كل الوسائل والإمكانيات التي قد تمكنهم من تهديد مستقبل النظام أو التخريب عليه.
- لقد اشترك في تحديد وكتابة ونشر البيان مجموعة من الشخصيات حيث وقع التفكير فيه ومناقشة محتواه، بين القادة الستة وهم كالأتي: مصطفى بن بولعيد، محمد بوضياف، العربي بن مهيدي، كريم بالقاسم، رابح بيطاط، ديدوش مراد.
- وفي الاجتماع الأخير الذي جرى في 23أكتوبر1954 تم فيه الفصل النهائي في المسودة المقدمة من قبل محرري البيان. حيث ذكر رابح لونيسي: أن محرري البيان هم:" بوضياف، ديدوش مراد، بن مهيدي وبن بولعيد."
- عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ص763.
- ،بيان أول نوفمبر وأسس الدولة الوطنية-الجذور الفكرية والمضمون-،مجلة المصادر، يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، عدد7،2002، ص26.

- في حين ذكر فرحات عباس أن محرري البيان هم بوضياف وديدوش. على الرغم من اختلاف الروايات حول من حرر البيان. يمكن القول أن البيان أجمع عليه القادة الستة المفجرين للثورة ووافقوا على إخراجه في نسخته الأخيرة وبهذا **"فالبيان"** هو من صنع هؤلاء جميعا وهو عمل قامت به مجموعة أرادت إرفاق العمل المسلح ببيان يوضح للشعب والعالم كله. ماهو الهدف الذي ترمي إليه للثورة الجزائرية.
- ويجب أن نشير إلى أن البيان الأصلي كتب بالغة الفرنسية ثم ترجم لاحقا من قبل مسؤولي الولايات سنة1957. وقد ترجم البيان كذلك في القاهرة من قبل بعض الساسة التونسيين والمراكشيين الذين كانوا في القاهرة، وهم الرشيد إدريس بولعراس وإبراهيم طوبال وكلهم من تونس، وعبد الكريم غلاب وعبد المجيد بن جلول وابن مليح وكلهم من مراكش.
- كما يجب الإشارة أنه تم كتابة نصيين، حيث أن الأول سياسي بإمضاء جبهة التحرير الوطني وهو موجه للفئة المثقفة والصحافة والرأي العام العالمي. أما الثاني كان بإمضاء جيش التحرير الوطني وهو موجه لعامة الشعب.
- فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، الجزائر: منشورات ،2005، ص85.
- عيسى كشيدة، مهندسو الثورة، ترجمة: موسى أشرشور، تقديم: عبد الحميد مهري، مراجعة و تنقيح: زينب قبي، باتنة منشورات الشهاب، ط2، 2010.ص102.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962، ج9 ،ط3، الجزائر: دار البصائر،2009، ص82.

- وقد ذكر عيسى كشيدة مراحل كتابة وإخراج ونشر البيان، حيث قال: **"تمت كتابة النصيين اللذين نشرناهما ووزعناهما على المناضلين والشخصيات العاصمة من مختلف الأديان بقلم المناضل يدعى العيشاوي محمد".** وتحديدا في قرية إغيل إيمولا يوم27 أكتوبر1954، حيث وجد المحرر آلة راقنة وجهاز استنساخ، قام بسحب 2300نسخة من النداء إلى الشعب و1100 من بيان أول نوفمبر.
- ويذكر بيطاط أحد مجموعة الستة أن إجراء سحب **"البيان"** وتوزيعه كلفت بها المنطقة الرابعة التي كانت تحت مسؤوليته وهو الذي أشرف شخصيا على العملية. "حيث يقول :**"وقد ساهم في رقنه وسحبه الصحفي والمناضل محمد العيشاوي الذي عين لهذه المهمة من قبل المنطقة الرابعة وأنا الذي اصطحبته شخصيا إلى بلكور وقدمته للمناضل صاحب مقهى وهو أحمد زهوان الذي تكفل بنقله إلى المنطقة الثالثة."**

- يعتبر بيان أول نوفمبر عبارة عن وثيقة أصدرها جهة جديدة غير معتمد من قبل سلطة الاحتلال وغير معروف لدى عامة الشعب الجزائري، وحتى لدى الطبقة السياسية، والبيان عبارة عن وثيقة مرجعية أو قانون يحدد بوضوح المعالم الكبرى للثورة التحريرية والقرارات التي تتمخض عنها خلال الكفاح.
- ويسمى هذا البيان بالنداء، لأن بواسطته نادى الواضعون له كل الشعب الجزائري للقيام بالكفاح المسلح وذلك يوم الاثنين فاتح نوفمبر1954، وسادس ربيع الأول من عام1374ه ويتكون هذا البيان من ثلاث صفحات وستة مقاطع كانت بدايته ب"أيها الشعب الجزائري ونهايته بالكتابة العامة لجبهة التحرير الوطني.